الأهرام

المصدر: القدس العربى

التاريخ : ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٢

الانظمة ستواجه غضب شعوبها والحركات الاسلامية ستبتلى وتختبر!:

الحرب الأمريكية على العراق وسيناريوهات ما بعد صدام

كمال السعيد حبيب*

تشير التوقعات إلى ميعاد للعدوان الأمريكي بين أواخر نوفمبر القادم وأواخر فبراير.. فالكونغرس الأمريكي منح «بوش» تفويضاً يمكنه من شن الحرب على العراق باعتباره يمثل تهديداً للأمن القومي الأمريكي، وحذا مجلس الشيوخ نفس الحذو، وكما قال «بوش» فإن هناك وحدة وطنية أو صوتا أمريكيا واحداً بشأن شن الحرب على العراق. ولم يمنع الموقف الدولي في الأمم المتحدة والرافض لرغبة أمريكا بإصدار قرار من مجلس الأمن يفوضها باستخدام القوة ضد العراق دون الرجوع ثانية إليه ـ لم يمنع ذلك الموقف أمريكا من الاستعداد للحرب.. فما يحدث من ضغوط وصراع في أروقة الأمم المتحدة هو معركة دبلوماسية لا تمنع العمل الميداني للاستعداد للحرب.

وفي هذا السياق أصدرت وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاغون» أوامرها بانتقال عناصر القيادة من الفرقة الخامسة للجيش الأمريكي المتمركزة في ألمانيا، والفرقة الأولى للانتشار السريع التابعة لمشاة البحرية الأمريكية في كاليفورنيا إلى الكويت في أول عملية انتشار غير عادية لقوات تقليدية في الخليج العربي (الأمريكي).

وسوف يبدأ «البنتاغون» أيضاً بتطعيم نصف مليون جندي ضد مرض الجدري خوفاً من شن «صدام» حرباً بيولوجية ضد القوات الأمريكية في أسوأ الاحتمالات وهو الخيار «شمشون» أي ـ علي وعلى أعدائي ـ إذا وجد نفسه وأسرته والمقربين إليه في حالة خطر.

كما أن قاعدة «العديد» في قطر جرى تطويرها لتناسب المهام الأمريكية، ويتوقع أن ينقل الأمريكيون إليها مقر قيادتهم الجوية بدلاً من قاعدة الأمير سلطان الجوية في الرياض، كما أن الأردن جرى تجهيز مطاراته هو الآخر، وفي البحرين توجد قيادة الأسطول الخامس للبحر الأحمر والخليج العربي، ومن سلطنة عمان أيضاً تجري الاستعدادات. هذا.. فضلاً عن المناورات التي حدثت في الكويت بجزيرة «فيلكا» والتي استفزت الشعور الوطني للكويتيين فأطلقوا النار على الجنود الأمريكان بالجزيرة، ولحظة كتابة هذه السطور تجري مناورات جوية بين تركيا وأمريكا بوسط الأناضول في «قونية» باسم «العملية العسكرية العراقية»، وهو ما يعطينا فكرة عن أن نقاط ضرب العراق ستنطلق من الكويت ودول الخليج العربي، ومن تركيا، ومن الأردن، والكيان الصهيوني الذي تستخدمه أمريكا كأكبر قاعدة تخزين للأسلحة.

وعلى الصعيد النفسي.. يشن الأمريكيون حملة نفسية على النظام العراقي حيث يتحدثون عن إجرامه في حق شعبه، واستخدامه الأسلحة الكيماوية ضد الأكراد في «حلبجة» وفي الحرب مع إيران، وضد معارضيه في الجنوب.. كما تقص القصص عن جبروته وأبنائه «قصي وعدي» وكيف أنهم يعشقون الدم والجنس.. وتتحدث عن ضرورة محاكمته جنائياً ودولياً باعتباره مجرم حرب..إلخ، والكل هنا في العالم العربي يتساءل: وهل كانت هذه الجرائم بعيدة عن أعين أمريكا ويدها ؟!، فأمريكا هي ذاتها التي صنعت «صدام»، وصنعت إجرامه ضد شعبه. لذا فإن محاولة الأمريكان إقناع الناس في العالم العربي أن العدوان على العراق هو تبشير بمرحلة جديدة لنظام إقليمي جديد يتمتع فيه المواطنون العرب بالحرية والديمقراطية، هي محاولة تبدو سخيفة؛ ذلك لأن أمريكا تسعى فقط لتحقيق مصالحها، وتحقيق مصالح الكيان الصهيوني التي تعتبره حليفها الاستراتيجي الوحيد الموثوق به في المنطقة.

نعم.. الناس في العالم العربي لديها أشواق للحرية، فلقد سئمت الديكتاتورية والاستبداد والفساد، لكنها لا تريد أن تحقق أشواقها هذه بيد أمريكية؛ لأنها تدرك أن أمريكا لا تعرف تحريك آلتها العسكرية من أجل قيم الحرية، أو التعددية، أو الشفافية للمضطهدين والمظلومين في العالم العربي ـ كما تزعم ـ وإنما تحركها فقط ـ وكما قال قرار الكونجرس ـ «تمكين الرئيس من اللجوء إلى القوة المسلحة للولايات المتحدة طبقاً لما يراه مناسباً وضرورياً من أجل الدفاع عن الأمن القومي للولايات المتحدة ضد التهديد المستمر الذي يشكله العراق».

أهداف الحرب الأمريكية

فأمريكا لها مصالح جيواستراتيجية تهدف إلى تحقيقها من الحرب، وتتمثل هذه المصالح في:

1 ـ السيطرة على منابع النفط العراقي الذي يمثل أكبر احتياط للنفط في العالم بعد السعودية (11 % من الاحتياطي العالمي بما يعادل مليار برميل) ليصبح تحت يد أمريكا بالكامل مخزون نفط العالم العربي في الخليج والعراق معاً، وهو ما يمثل 55 % من المخزون العالمي، بالإضافة إلى احتياطي النفط في بحر قزوين والذي يمثل 20 % من المخزون العالمي ـ أي أن أمريكا تريد الاستحواذ على مصادر

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

النفط العربي بشكل تام، خاصة وأن الطلب العالمي على النفط سوف يصل إلى 115 مليون برميل بحلول عام 2020.. ووفقًا لتقديرات الخبراء، وكما تشير مجلة «لوبوان» الفرنسية فإن إنتاج العالم العربي سوف يتضاعف وسوف يمثل 51 % من الإنتاج العالمي بدلاً من 43 % في الوقت الراهن، ونفط العراق والخليج خاصة السعودية هو المرشح لتلبية الزيادة في الطلب على النفط، ولا يضارعه في ذلك مناطق البترول الأخرى مثل بحر قزوين.

2ـ وكما تقول مجلة «لوبوان» فإن أمريكا تفكر دائمًا في البترول العراقي دون أن تفصح عن ذلك أبدًا.. وتدرك أمريكا جيداً أنها بسيطرتها على البترول العربي في العراق سوف تظل تمارس نفوذها على حلفائها في اليابان وأوروبا والذين يعتمدون بشكل كامل على بترول المنطقة العربية، ليس هذا فقط وإنما ـ وكما تشير صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية ـ فإن أمريكا تريد من استحواذها على النفط العراقي حرمان القوى الدولية المناوئة لها من الحصول عليه خاصة الصين، وتضيف منذ عام 1993 والصين أحد مستوردي البترول الرئيسيين من العالم العربي، ومن المتوقع تضاعف استهلاكها في الفترة من عام 2005 إلى عام 2020,

3ـ السيطرة على بترول العراق سوف يحرر أمريكا من الحاجة إلى البترول السعودي الذي يمثل 15 % من الاحتياجات الأمريكية للطاقة، خاصة وأن السعودية تمثل في منظور صقور الإدارة اليمينية الأمريكية قوة «وهابية» غير موثوق فيها، ومن ثم فتقليص النفوذ السعودي في مجال البترول يمثل أحد أهداف الإدارة الأمريكية ـ وكما تقول صحيفة «ليبراسيون» ـ بدون البترول سوف يحرم الإسلام الراديكالي من أحد مصادر تمويله.

4ـ تسعى أمريكا من احتلالها للعراق إلى إعادة رسم الخريطة الجيوسياسية للمنطقة العربية بحيث يتم القضاء على أي دولة أو قوة سياسية لا تقبل بشكل مطلق بالإملاءات الأمريكية والصهيونية في آن واحد.. وفي هذا السياق فإن النظام السعودي والمصري والليبي والسوري واللبناني «مطلوب»، بحيث لم تعد الإدارة الأمريكية تطيق الحديث عن مصالح قومية لهذه الدول في مواجهة ما تريده أمريكا والكيان الصهيوني، وفي حومة الاندفاع الأمريكية نحو تحقيق ما تريد فإنها لم تعد حريصة على ما كان يعرف في السابق بالأنظمة الصديقة أو الحليفة؛ لأن الإدارة الأمريكية الحالية أنتهت إلى أن النظام الوحيد الموثوق هو (إسرائيل)..

وتتحدث المصادر عن تغيير جيوبوليتكي في السعودية يقسمها إلى مناطق عديدة بحيث تكون مناطق البترول بمنطقة «الإحساء» في يد الشيعة الذي يمثلون ثقلا اجتماعيا هناك.

.. كما تتحدث بعض المصادر عن سعي أمريكا لفرض ولي للعهد السعودي غير الأمير «عبد الله» الذي لا يوثق بتوجهاته.. كما أن احتلال العراق سوف يجعل للكيان الصهيوني اليد الطولى في المنطقة العربية كلها.

5ـ فرض فكرة «الجيواستراتجيا» التي يتحدث عنها العالم، وليس المقصود منها إعادة رسم الخرائط على الأرض؛ وإنما إعادة رسم ما يمكن أن نطلق عليه «الجيواستراجيا الخاصة بالهوية والثقافة» أي إعادة تشكيل وعي الناس وهوياتهم في العالم العربي بحيث يتم نزع الهوية الإسلامية خاصة والعربية بشكل عام لصالح «الهوية الأمريكية الجديدة».

وتحقق أمريكا على أرض الواقع بالقوة ما عجزت عن تحقيقه بالدبلوماسية.. بحيث يصبح احتلال العراق إيذاناً ببزوغ العصر الصهيوني من جديد وعودة التبشير بالإنسان الشرق أوسطي الخالي من القيم والروح، والذي تحكمه فقط المصلحة والمنفعة واللذة تحت قصف المدافع الأمريكية.

التداعيات والسيناريوهات المتوقعة

1ـ يمثل أمر استخدام القوة العسكرية البرية في اقتحام مدينة بغداد التليدة معضلة كبيرة.. فبغداد مختلفة عن المدن في أفغانستان؛ إذ إنها مدينة كبيرة كثيفة السكان (تعداد سكانها 7 مليون نسمة)، وبالطبع فإن الناس ضاقت بنظام صدام القمعي، لكن الجيش الأمريكي القادم بالدبابات يسانده خبراء صهاينة ودوليون يمثلون قوة احتلال لا بد من مقاومتها.. ومن ثم فاحتمالات اشتعال حرب شوارع قاسية هو أمر وارد بقوة.. والأرجح أن القوى العسكرية في العراق هي التي ستجد نفسها في مواجهة الزحف القادم، وكما هو معلوم فإن «السنة» يمثلون غالب الجيش العراقي الذي يصل إلى حوالي نصف مليون، وهم أغلبية الحرس الجمهوري والمليشيات المعروفة باسم «فدائيي صدام» ومن ثم فإن «السنة» في العراق سيكونون وقود هذه المواجهة لو حدثت.. وسوف يعزز الاحتلال الأمريكي من مركز الشيعة الذين يمثلون صلب المعارضة العراقية في الخارج وهم الغالبية في الجنوب.. كما قد يؤدي ذلك إلى تحرك تركيا في الشمال إلى أكثر من 20 كم لمنع إعلان

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الأكراد دولة مستقلة لهم..

وتتحدث مصادر عسكرية عن هدم السدود في الشمال لإعاقة تقدم القوات المحتلة التي قد تطبق على المدينة العاصمة «بغداد» من أكثر من محور.. ويراهن الأمريكيون على ثورة الشعب أو الجيش مع الضربات الجوية التي ستوجه للمراكز الحيوية في بغداد والعراق قبل الهجوم البري.. لكن إذا لم يحدث ذلك وهو الأرجح في تقديرنا؛ فإن مواجهات دامية ستحدث.. وسوف يستعين الجيش الأمريكي بخبرة الجيش الصهيوني في مواجهة الانتفاضة في هذه المواجهات.

2ـ وليس معروفاً ما يمكن أن يحدث على الجبهة الفلسطينية، خاصة وأن الكيان الصهيوني قد حصل على إذن من أمريكا برد على العراق إذا وجه أي ضربات إليه كما حدث في حرب الخليج الثانية، ففي لقاء بوش ـ شارون الأخير في واشنطن قال بوش: «إذا هاجم العراق إسرائيل غداً فأنا متأكد أنه سيكون هناك رد مناسب، شارون سيرد لأن حقه الدفاع عن نفسه».. وقال «رعنان غننسين» المتحدث باسم السفاح شارون: «لم نكن نتوقع أفضل من هذا من الرئيس الأمريكي الذي أقر بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها حال تعرضها لهجوم من قبل العراق».

ومن المحتمل أن يسعى الكيان الصهيوني للتخلص من المشكلة الفلسطينية برمتها ويقوم بترحيل الفلسطينيين بشكل جماعي إلى العراق عن طريق الأردن، وليس مستبعداً أيضاً نشوب حرب نظامية ضد سوريا أو مصر؛ فالجيش الصهيوني دوخته الانتفاضة وهو يسعى لشن حرب مع دولة من جيرانه ليخرج من قمقم حرب الشوارع إلى فضاء الحرب مع الدول.

3ـ وتتحدث الإدارة الأمريكية عن سيناريو حكومة عسكرية أمريكية كالتي نفذتها بعد انتصارها في الحرب العالمية الثانية في اليابان وألمانيا، وتتحدث عن استمرار هذه الحكومة لمدة عام أو أكثر، ويبدو أن الأمر لم يستقر بعد لدى الإدارة الأمريكية عما يجب فعله إذ عارضت «كوندليزا رايس» إقرار النموذج الألماني والياباني الذي تحدث عنه «كولن باول» لأنه سيؤدي إلى استفزاز العراقيين والعالم الإسلامي، وتتحدث المعلومات عن احتمالات عودة الملكية الهاشمية إلى العراق حيث تردد اسم «الحسن بن طلال». بينما تتحدث بعض الدوائر عن «ضابط سني» يكون موثوقاً به يكون على شاكلة «قرضاي» في أفغانستان.

4ـ بالنسبة للشعوب العربية فأمر غيابها وعدم التعبير عن غضبها بالتظاهر بشكل كاف يعد أمراً محيراً، وإن كان البعض يتحدث عن عدم المراهنة على غضبها بالمظاهرات لكن غضبها عبر الانفجار والانتقام سيكون مدمراً.. وليس مستبعداً القيام بعمليات غير مسبوقة ضد المصالح الأمريكية والصهيونية وضد النظم الحليفة لهما..

وفي كل الأحوال فإن النظم العربية ستجد نفسها مواجهة بغضب شعوبها الذي لن يبقي ولن يذر، وقد تحدث مواجهات عاتية ربما تؤدي إلى سقوط أنظمة أو انهيار سلطتها، كما قد تفتح جبهة مواجهة عربية، بل ـ في قلب العالم العربي ـ وستكون جبهة مواجهة غير مسبوقة.. إنها ستكون في تقديرنا أشبه بحرب فلسطين ـ مع الفارق حيث إن الجماهير هي التي ستكون لها الكلمة العليا وليست الأنظمة.

5ـ وبالنسبة للحركات الإسلامية فستبتلى وتختبر، فإما أن تكون على قدر غضب شعوبها، وإما سيجرى تجاوزها ـ ومن المتوقع ـ وكما في حالة الغضب العامة ـ أن تفرز الشعوب أشكالاً جديدة غير مسبوقة قد تستلهم أساليب «غير مسبوقة» في المواجهة مع المصالح الأمريكية.

إن ما يحدث غير مسبوق في العلاقات الدولية أو الإقليمية من ناحية، وغير مسبوق في تجاوز التقاليد المعروفة في التعامل مع المنطقة، ومن ثم فالسيناريوهات الواردة لن تكون تقليدية بل ستكون غير مسبوقة، والمؤكد أن المعركة ستتجاوز المواجهة في بغداد إلى المحيط العربي والإسلامي.. ورغم أن السيناريو المطروح الآن هو السيناريو الأمريكي باعتبار أن أمريكا قوة موجودة فعلاً.. لكن السيناريو الذي سيولد من رحم الغيب سوف يطرح نفسه رداً على السيناريو الأمريكي..

وإذا طال الوجود الأمريكي في العراق؛ فإن حرباً للتحرير ستطول.. وفي كل الأحوال فإن بعض الخبراء يتحدثون عن حدود للقدرة الأمريكية بمعنى أنه إذا تعرضت أمريكا لخسائر بشرية كبيرة فإنها قد تقرر التراجع في كل خططها.

إن المنطقة العربية مقبلة على خطر كبير وداهم.. فإما أن يكون فاتحة لعصر من الهيمنة الأمريكية والصهيونية.. أو فاتحة لعصر مقاوم تفتح فيه طاقة من التحول... تكون مصدرها الشعوب، يتوارى معها قمع الأنظمة والحكومات.. وبينهما دفع ومدافعة ورباط ومناضلة وأحداث كبار تدق الأبواب «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»..

---

* باحث من العراق

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية